الزمن في الشعر الفلسطيني

د/سعيد محمد الفيومي *

Abstract

This discussion aimed to know the Palestinian poet prefiguration to time poet worked on recalling the past amending it and trying to shape it in a new way so that he could live it and he tried to make atime balance between the present and the past and combines the three time phases according to the prevailing historical circumstances.and draw future in an optimistsc way The Palestinian poet tried to take time as symbol to transfer some concepts or some other special cases.and absorbed the old age and investigated the legendary roots in search for identity and personality and deal the death problem in the wake of sending anew life.

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على رؤية الشاعر الفلسطيني للزمن،فقد عمل على استعادة (الماضي) وحاول أن يصوغه من جديد ليعيشه مرة أخرى وذلك في ضوء مقتضيات الحاضر وآمال المستقبل ،وأن يصنع تعادلاً زمنياً بين هذه الأزمة،ويداخل أحياناً بينها مع رسم المستقبل بصورة متفائلة وقد حاول أن يتخذ من الزمن رمزاً لنقل بعض المفاهيم أو بعض الحالات الخاصة،واستغرق (الزمن القديم) وبحث في الجذور الأسطورية وذلك للبحث عن الهوية والشخصية وعالج قضية الموت على أنه باعث لحياة جديدة.

---

* أستاذ مساعد/ جامعة القدس المفتوحة .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الزمن في الشعر الفلسطيني

مقدمة:-

لم يكن الشعر الفلسطيني في يوم من الأيام نبتاً شيطانياً ،بل هو امتداد للشعر العربي ،ومع ذلك يبقى لهذا الشعر خصوصيته يستمدها من طبيعة التحديات التي تواجهه ،فهو ليس شعر عواطف أو إثارة بل هو شعر واقع وثورة ،وموقف الشاعر فيه موقف المتحدي لهذا الواقع ،لذلك-عند دراستنا للزمن في الشعر الفلسطيني-سنجد زمناً فلسطينياً مميزاً يختلف عن الزمن الشعري لدى الشعراء الآخرين ويختلف إحساس الشعراء بالزمن وتصويرهم له ،فمنهم من يصوره وسيلة للهرب من الواقع ،ومنهم من يتوهج له الزمن ويستحيل عنده إلى صورة مجسدة كأنه يراها فيخلق منه مجالاً واسعاً للتعبير عن آرائه وأفكاره ،ومنهم من يتداخل عنده الزمان فتتشابك الأوقات وتضيع الحدود ،فالحاضر يصبح ماضياً وكذلك المستقبل.

والزمنية في الشعر ليست مقياساً وحيداً للحكم على الشاعر وقدرته الإبداعية ،وإنما هي توضيح لموقفه إزاء الأشياء ومدى تفهمه للتطور الحضاري وبناء شخصيته ودور الإنسان في هذه الحياة.

نعلم جميعاً أن دورة الزمن في الطبيعة تتكون من أبعاد ثلاثة هي(ماضي- حاضر- مستقبل) والإنسان من حيث هو موجود زماني لا فكاك له من أي بعد من هذه الأبعاد الثلاثة ،فالماضي يؤدي دوراً تعويضياً هاماً في حياة الإنسان من خلال التذكر ،والحاضر يعني وجوده الفعلي الذي يعيشه.....والمستقبل هو المجال الثالث الذي يعيشه الإنسان من حيث هو مجال التوقع والأمل والتطلع بكل معانيه سواء أكان مقبولاً أم غير مقبول ،وهذا المجال يؤثر في وجودنا المعيش(الحاضر) إنه الوجود الذي لم تصل إليه يد الفناء.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لذلك كانت عملية الحياة لدى الإنسان والوعي الداخلي لهذه الأبعاد الثلاثة مستمرة، وفيما يواصل الإنسان حياته فإن بعد الماضي يزيد وينمو وفي الوقت نفسه يتناقص بعد المستقبل ،ومع كل جزئية من حياتنا تعاش وتطرح على نحو ما تم معايشتها فإن مجال الحياة التي لا تزال تنتظر أن تعاش يضيق بصورة ملحوظة ،فكيف ينظر الشاعر الفلسطيني إلى هذه الأبعاد الثلاثة وهل استطاع الشاعر الفلسطيني أن يحمل الزمن مفهوماً خاصاً أو يطرح بعض قضاياه من خلاله ،ويعيد بناء شخصيته ويحافظ على هويته.....؟

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لقد تغير الزمن بالنسبة للفلسطيني بعد حلول النكبة بحيث كثفت هـــذه النكبـــة حياتـــه وجعلتها أضعاف ما يعيشه ،فلم يعد الزمن هو الزمن الذي عاشه قبـــل هـــذه النكبـــة ،فحاول أن يستعيد ماضيه ويعدله محاولة منه صياغة هذا الماضي من جديد ليعيشـــه مرة أخرى وذلك في ضوء مقتضيات العصر وما نتج عن النكبـــة مـــن تداعيـــات ،و يستخدمه في بناء الوعي وينقله من حالة اللاوعي العميق منه والقريـــب إلـــى حالـــة الوعي المعيشي.

يقول الشاعر(إبراهيم نصر الله)[1]

لربما يقال بعد حين:

قد جفت الأنهار

وإن زهر الدم في عروقنا ما كان

وإن طير الحلم في قامتنا

لا يشبه الرجال

.....

.....

سأستعير من غصون اللوز خضرة البلاد

وأستعير من جذوع النخل سارية

وأستعير من غناء الطير في الغابات وردة

وأسأل العشاق في شوارع الرصاص

في الخلاص.....

---

(١) إبراهيم نصر الله /الأعمال الكاملـــة / المؤسســـة العربيـــة للدراســـات والنشـــر/ط١/١٩٩٤م /ص٢٩٢-٢٩٣

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشاعر هنا يسير بطيئاً مع الزمن وذلك بسبب المواقف المتغيرة التي ولدت لديه انفعالات مختلفة يتمدد معها الزمن وينبسط أو ينحسر ،بحيث يوحي بطول الزمن أو بقصره ،بعيداً عن القياس الحقيقي له ومما يؤكد هذا الإحساس الفصل و التنقيط بين الأسطر الشعرية ،ولكنه مع ذلك يحاول أن يعيد تذكر هذا الماضي بكل أشكاله وأحداثه ويعمل على إعادة بنائه وفهمه من جديد وفق المعطيات التاريخية والموضوعية فهو يريد أن يبني لنفسه مستقبلاً يتمثل في الخلاص من هذا الواقع المر .

إن جميع النظريات السيكولوجية تشدد على العلاقة بين الذاكرة والذات فالماضي يختلف عن المستقبل في أنه سجلات وآثار في حين أن المستقبل رؤية عن طريق هذا الماضي والذي من خلاله(الماضي)نتعرف عليه أكثر ويصبح أكثر قرباً من حاضرنا ،فالشاعر(محمود درويش)يصنع نوعاً من التلازم الوظيفي بين ذاته والزمن(الماضي)عن طريق التذكر فيبدو له أحياناً أهم من تيار الوعي اللحظي.

يقول:-(١)

نعود إلى البيت

هل تعرف الدرب يا بني

نعم،يا أبي

شرق خروبة الشارع العام

درب صغير يضيق بصباره

في البداية ،ثم يسير إلى البئر

أوسع ،أوسع ،ثم يطل

---

(١) محمود درويش / ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً /رياض الريس للنشر ط١/١٩٩٥م/ص٤٠

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

على كرم عمي(جميل)
بائع التبغ والحلويات
ثم يضيع على بيدر قبل
أن يستقيم ويجلس في البيت
في شكل ببغاء
هل تعرف البيت يا ولدي.

فالشاعر في هذه الأسطر يربط عناصر الماضي مع بعضها البعض وهو يشعر أنه من الضروري فعل ذلك ليضمن لنفسه الاستمرار في بحثه عن هويته الذاتية ،فاستعادة الماضي عنده ليس استنساخاً منفعلاً لاستجابات هذا الماضي المعتاد أو ليس تذكراً اعتيادياً تفرضه العادة ،وإنما عملية خلق جديدة يريدها الشاعر ،تذكّر يأتلف من مجموعة الأحداث التاريخية والحياتية ،وهكذا يقذف مجموعة الذكريات من اللاوعي إلى الوعي الذاتي ،إنه نوع جديد من التأين الكيميائي بين الماضي والحاضر.

ولعل هذا ما عناه(القديس أوغسطين)حين يقول"في ذاكرتي حقول ومغاور وكهوف لا حصر لها ،فيها الكثير من مختلف الأشياء التي تقيم فيها إما بصورها كما هي الحال للأجسام وإما بذاتها كما هي الحال للعلوم وإما بشكل معارف ومعلومات كما هي الحال لعواطف النفس ومشاعرها التي تحفظها الذاكرة.....عظيمة هي قدرة الذاكرة وعظيمة هي قدرة الحياة لدى الإنسان الذي لا يحيا إلا ليموت"[1]

ودائماً يعمل الشاعر الفلسطيني على بناء وعي متكامل ويعمل على بنائه من خلال التذكر(زمن الماضي) والتوقع(زمن المستقبل) ولكنه أحياناً يجد ذلك لا يفي بمتطلبات

---

(١) القديس أوغسطين/الاعترافات/الكتاب العاشر/نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو/المطبعة الكاثولوكية/بيروت/١٩٦٢م/ص٢٤٩

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الوعي التي يريدها بسبب(الحاضر) وما يصادفه أحياناً من غموض أو إبهام أوبسبب عدد من الآليات السيكولوجية مثل الكبت والتشويش أو فقدان الأمل،

يقول:-(سميح القاسم)[1]

حين تميل الشمس.....مكسورة الظهر

أقول:كنا أمس في أول الدهر

حين تميل الشمس يا أم أولادي

أقول:كنّا أمس في أسفل الوادي

أمي على الدرب محلولة الشعر

تقول:يا رب متى تميل الشمس مكسورة الظهر

وهكذا فإن زمن الماضي بأحداثه لدى الشاعر تمتزج وتختلط عنده بالمخاوف والآمال والأمنيات والخيالات ،وهو هنا لا يذكر الماضي كأحداث واقعة بل يحاول تعديلها وتفسيرها من جديد ليعيشها مزة أخرى في ضوء الحاضر ومخاوف الماضي وآمال المستقبل.

إن عدم الثبات في التركيز السياسي والإجتماعي لدى الشاعر الفلسطيني والماضي والحاضر ،يشعره أحياناً بنوع من الابتعاد عن الماضي مما يعني إرجاع حدود الماضي إلى الوراء مسافة بعيدة ،وأحيانا كبيرة

يقول الشاعر(سميح القاسم)[2]

أنا قبل قرون

لم أطرد من بابي زائر

وفتحت عيوني ذات صباح

---

(١) سميح القاسم/الأعمال الكاملة/منشورات مكتبة عمان/١٩٦٣م/ص٦٤٤

(٢) المصدر نفسه/ص٣٩

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فإذا غلاتي مسروقة

ورفيقة عمري مشنوقة

وإذا في ظهر صغيري...حقل جراح

وعرفت ضيوفي الغدارين

فزرعوا ببابي ألغاماً وخناجر

وحلفت بآثار السكين

لن يدخل بيتي منهم زائر

في القرن العشرين !

هذا الابتعاد الداخلي عن الماضي لدى الشاعر والذي يعنى كسوفاً سيكولوجياً هو نتيجة تراكمات وتغيرات سياسية واجتماعية جذرية في علاقاته مع الآخرين ،ولعل هذا التناقض بين الماضي والحاضر يجعله يفهم ماضيه فهماً جيداً ويقدر حاضره الذي يجب أن يكون عليه ،وفي الأسطر السابقة يصنع الشاعر نوعاً من التوأمة بين الزمانية والبيئة الاجتماعية والتي ستساعده فيما بعد في بناء مستقبله ،ونلاحظ أحياناً أن الماضي والحاضر يصنعان تعادلاً زمنياً واضحاً لدى بعض الشعراء ، يقول:(هارون هاشم الرشيد)[1]

إلى شط يافا الحبيب الجميل	إلى الغور والمرج والذروه
إلى ليل حيفا الحنون اللطيف	إلى الكرمل الوادع البسمة
هناك أعود مع الذكريات	أعود لأغرس حريتي
فأطلق آمالي الباسمات	تناغي مع الطير أغردوتي
أعود إلى كرمتي والصباح	يضيء الطريق إلى عودتي

---

(١) هارون هاشم رشيد/الأعمال الكاملة/دار العودة/بيروت/ط١/١٩٨١م/ص١١٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالشاعر هنا يستحضر الماضي الجميل ليعوض به الحاضر الرديء ويصنع منه معادلا لهذا الحاضر ،إلا أن هذه الحسرات والتي قد تنسحب إلى الماضي لا تجدي نفعاً ولا تبعد بؤساً ،فالزمن أكان ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً(ذكريات-أعود لأغرس-آمالي الباسمات)بكل أبعاده يستحضره الشاعر ليؤكد استمرارية وجوده ،ونجد بعض الشعراء يعمل على إبقاء نفسه في حالة صراع من خلال تداخل هذه الأزمنة ؛وهو لا يخرج بعيداً عنها بل يبقى في داخلها.

يقول (أحمد دحبور):[1]

وكلما جعت تحكي عن قطار

.....وأنه سوف يأتي

وسوف ندخل حيفا

أن للبحر موجتين

وهذى موجة الوعد أقبلت

ثم ترخي دمعتين اثنتين

.....

لماذا تطول الحرب؟

خذ طولها وقاتل به الآن

رأيت الزمان يقلب وجها

خذه من وجهه الجديد

يرسم الشاعر المستقبل بصورة متفائلة ويحمله فجراً جديداً فصراعه مع الحاضر المرفوض جعله يرسم هذا المستقبل ؛ولكن لا بد للذات أن تحيا الزمان وتشعر أنها

---

(١) أحمد دحبور/الأعمال الكاملة/دار العودة /بيروت/١٩٨٣م/ص٣٨٧-٣٨٨

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

محصورة بين الماضي والمستقبل ،حينها يكون زمان المستقبل قد استقر عند الشاعر ،فمعجزة الانبعاث لا يستطيع أحد أن يخمدها.

وهي تستقر في زمن المستقبل ،وكأن هذا الزمن غير خاضع للاحتمال فهو في حالة انفلات تام من أي احتمال سوى احتمال النصر ،ونرى شاعراً آخراً مثل(سميح القاسم)يريد أن يمتلك هذا الزمن(المستقبل)ويستولي عليه ويخلق منه زمناً جديداً يقول:(١)

"ما نطيق الذل :يا ربع الجدود

"وابن أخت الذل:من يرضى القيود

ما نطيق الذل للعادي الغريب

نهزم المحتل لو حتى نبيد!

ساعة مرت–ومرت ساعتان

طلقة منا–ومنهم طلقتان

جثة منا–ومنهم جثتان

لقد أراد البعض أن يلغي الزمن الفلسطيني(الماضي) وبالتالي يلغي من حافظته زمن(المستقبل) وكأن الفلسطيني أصبح بلا مستقبل ،لكنه يصنع لنفسه زمناً آخر زمناً يصوغه من دم الشهداء ،فزمنه المرتبط بهذا المستقبل قد سار في طريقه الصحيح بعيداً عن الزمن المنحرف ،هذا الزمن الذي يحاول الكل اغتياله ،لكننا نجد هذا الزمن(المستقبل)عند الشاعر(عز الدين المناصرة)يشوبه نوع من الوهم لا يصل إلى حد الإلغاء

يقول:(٢)

قريباً من المجلس البلدي

---

(١) سميح القاسم/الأعمال الكاملة/ص١٦٦-١٦٧

(٢) عز الدين المناصرة/الأعمال الكاملة/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ط١/١٩٩٤م/ص٥٣٩

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بعيداً عن المجلس البلدي
اتكأت على حائط بارد
مثل مقبرة السفح
كنت وحيداً وحيداً
وينخرني الهم والوهم والانتظار

لقد أراد البعض أن يلغي الفلسطيني من حافظة هذا المستقبل ويعمل(الآخر)على رسم هذا المستقبل كما يراه هو وكما يريد وكأنهم بذلك يصنعون للفلسطيني زمناً خاصاً بهم.....لكن الشاعر يؤكد أن الزمن الفلسطيني هو زمن الانبعاث يقول[1]

وتجمعنا حول مائدة الملح والانتظار
نظرت توهمت في لحظة
أن بحراً
وراء المدينة حتماً سيأتي

إلا أن هذا المستقبل يأخذ بعداً آخر عند الشاعرة(فدوى طوقان) تقول:[2]

الوقت فاقد نعليه، واقف
تختلط الأيام والفصول
تراه موسم البذار
تراه موسم الحصاد
تراه.....؟
.....

---

(١) المصدر نفسه/ص٥٤٠

(٢) فدوى طوقان/الأعمال الكاملة/دار العودة/بيروت/١٩٨٤م/ص٦١٧

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

خلف حدود الليل

تطل خيل الوقت في سابقها.....

تركض نحو موطن الحلم.....

خلف حدود الليل

يتحول الزمن لدى الشاعرة(فدوى طوقان) إلى حزمة من تراكمات الوقت والصورة التي ترسمها للزمن تعطينا بعض المفاتيح والاستبصارات للواقع(زمن الحاضر)المعيشي، وعلى الرغم من هذا الواقع والذي يبدو سلبياً أثر على سلوك الشاعرة بحيث اختلطت الأوقات وتداخلت ويعزز ذلك التساؤل والذي يعني الإحساس بتغير الزمن وفعله،إلا أنها تعيش هذا الواقع وإن بدا أحياناً ساكناً لا يتحرك،فهي تحاول أن تمد جسوراً بين الحاضر والمستقبل، ولعل علامات التنقيط وعلامات الاستفهام داخل النص والتي تظهر بكثرة،تتعدى التركيب البنائي للنص لتعكس لنا الحالة النفسية للشاعرة تتمثل بتجدد هذا الواقع وإحساس ضعيف تجاه زمن المستقبل وما يحمله من(حلم) لكن هذا المستقبل عند(محمود درويش)يجمع فيه الماضي والحاضر فيتحدد عنده هذا الزمان بكل أبعاده ليصبح زمناً واحداً يقول:[1]

إني أحتفل اليوم

بمرور يوم على اليوم السابق

وأحتفل غداً

بمرور يومين على الأمس

وأشرب نخب الأمس

ذكرى اليوم القادم وهكذا....أواصل حياتي!....

---

(١) محمود درويش/الأعمال الكاملة/دار العودة/بيروت/ط١٣/١٩٨٩م ص٣٩٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد يذهب الشاعر الفلسطيني مع الزمن إلى أبعد من زمنه الماضي القريب وذلك باستحضار بعض الشخصيات التراثية من أبطال المسلمين من خلال البحث عن نظيره العربي الذي يخرج من بين الجماهير، والتفاؤل بوجوده، فاستخدام الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر يعني توظيفها تعبيرياً لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر،إنها تصبح وسيلة للتعبير، وإيحاء بيد الشاعر يعبر من خلالها عن رؤية معاصرة [1]،إن مثل هذه الآثار المدفونة في اللاوعي العربي يستطيع الشاعر أن يقذفها بنفسها-بسبب ظروف تاريخية معيشة -نحو الوعي فاستحضار الشاعر لشخصيات مثل(امرئ القيس،عمر بن الخطاب،المعتصم بالله، أبي فراس الحمداني،صلاح الدين الأيوبي...)وغيرها من الشخصيات التراثية العربية،

الهدف من ذلك أن يعيد بناء هويته وشخصيته وإثبات مفاهيم مرتبطة بهذه الشخصية،ومثل هذا الاستحضار لا يخضع لزمن معين إنه لا زماني أو بلا تاريخ أو دليل زماني ملازم له،فقد ينبجس الاستحضار داخل الوعي في أي زمان أو مكان مما يسبغ عليه صفة كونه ما وراء الزمان أو المكان مع أننا نستطيع أن نعيد تاريخ حدوثه ضمن سياق الزمن الطبيعي أو متى حدث،لذلك يجوز تصور تلك الشخصية وكأنها في حضور دائم فهي نماذج لا زمانية يجوز تكرارها دائرياً وللشئ نفسه يمكن أن تعاش ثانية.

---

(١) د.علي عشري زايد/استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر/رسالة دكتوراه/كلية دار العلوم /جامعة القاهرة/١٩٧٤م/ص٨

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ومن الشخصيات التي كثر استحضارها لدى الشعراء في هذه الفترة شخصية(عنترة ابن شداد)فالشاعر (خالد أبو خالد)يوظف ما يحمله الناس من إعجاب وحب وتعاطف شديد مع(عنترة)لأنه يمثل الوجه العربي والفروسية العربية "فعنترة" شغلته قضية تحرير ذاته من العبودية،فاحتدم الصراع بينه وبين مجتمعه من أجل ذاته وتحريرها،وكانت هذه القضية مدخلاً لرسالة عنترة(القومية)فما إن نجح عنترة في تحرير ذاته حتى شرع في تحرير قبيلته ومن ثم أمة العرب جمعاء[1](فعنترة بن شداد)فارس عربي أسود يحتل في وجدان المواطن العربي مكانة مهمة كرمز للبطولة الدرامية،فهو المدافع عن قومه والمضطهد منها بسبب لونه وحبه لعبلة.

وكذلك الفارس الفلسطيني عاشق الأرض والمدافع عنها،ولكنه يواجه بأبشع المجازر ويتلقى الطعنات من الخلف وهو يواجه العدو،هذه المعادلة بين(عنترة بن شداد) و(الإنسان الفلسطيني)يصوغها(خالد أبو خالد) ليجسد من خلالها الإحساس الفكري لدى الفلسطيني يقول:[2]

إن عاجلاً.....سوف يقتل

أو آجلاً

أدركوا عنترة

شرش الرمح

والسهم في الخاصرة

قبضة حول حبل اللجام

الشاعر في هذه الأسطر يلمح إلى بطولة(عنترة) والتي تعتبر بطولة شعبية يتميز بفرديته وذاتيته، وفي الوقت نفسه تعبر عن متطلبات المجتمع القبلي من خلال

---

(١) محمد رجب النجار/البطل في الملاحم الشعبية والعربية/الكتاب الاول/ص١٠

(٢) خالد أبو خالد/ديوان التغريبة/دار الطليعة بيروت/١٩٧٢م/ص٤٣

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فروسيته وحمايته للقبيلة"فعنترة يلقي الكماة الأبطال ثم يقهرهم، وبعد ذلك يتخذهم من فرسانه وأعوانه، ولعل المضمون الاجتماعي للسيرة يتكامل بتحالف عنترة وصداقته(لعروة بن الورد) رمز العدل الاجتماعي[1].

فقد أفلح عنترة في تأكيد ذاتيته وفرديته وسط مجتمع طبقي كما أفلح في إبراز فرديته قبيلته(عبس) وإعلاء مكانتها بين القبائل، والشاعر يوظف صورة عنترة وكل المفاهيم السابقة لتتواءم مع اللحظة المعاصرة،فهو حين يلمح إلى البطولة العربية المتمثلة في شخص (عنترة) يقف أمام الوجدان الجمعي العربي ويركز على الوعي والشعور كي يهتز العربي لماضيه ويدرك مأساة حاضره، وتصبح هذه المفردات رموزاً لغوية تحمل معها ذكرى شعورية لكل الأفعال والأعمال التي اقترنت بها مثل هذه الصورة، وهكذا يصبح عنترة رمزاً لانتظار البطل الذي يحرر الإنسان العربي من العبودية والاستغلال، وتأكيد الذات العربية الجماعية، ويصنع الشاعر نوعاً من المصالحة بين الماضي العربي والحاضر-فهو بذلك قد وسع الزمن ليصبح زمناً عربياً، ويجعل من هذه الشخصية-(عنترة بن شداد)-شخصية معاصرة وتنتمي إلى البعد الزمني الحاضر، ولكنها تبقى في عمق الذاكرة العربية وقد يذهب الشاعر الفلسطيني أحياناً إلى أعمق من التاريخ العربي بغوصه في التاريخ الإنساني وذلك في البحث بين ثنايا الميثولوجيا(الأسطورة) والتي يعني ترويضها فنياً قوة إنسانية أو على الأقل نقطة انطلاق لاستكشاف إمكانيات نزعة إنسانية جديدة.

لقد قامت هذه الأساطير بوظائف مختلفة في الماضي ويشهد العصر الحديث اهتماما متزايداً بالميثولوجيا كموضوع للتعبير الفني،فنلاحظ أن بعض الشعراء الفلسطينيين يلجأ إلى استخدام(الأسطورة)قالباً يصبون فيه تجاربهم التي تعبر عن رؤية تجاه

---

(١) د.أحمد إبراهيم الهواري/البطل المعاصر في الرواية المصرية/دار المعارف مصر/١٩٨٦م/ص١٢

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الزمن، ومن الشعراء الذين استخدموا هذه الأسطورة الشاعر(عبد الرحيم عمر)في قصيدة(ليالي بنلوب)،(بنلوب)هذه التي كانت تنتظر رجوع زوجها أو حبيبها الغائب ليخلصها مما هي فيه بعد أن تكاثر عليها الخطاب،فالشاعر يحول هذه الأسطورة إلى حدث واقعي(زمن حاضر) وكأن الشاعر ينقل لنا إحساساً بالاستمرار الزمني إضافة إلى استمرار الوحدة التركيبية لذات الإنسان،إن عنوان القصيدة وحاشيتها تدخلنا مباشرة إلى محور القصيدة الزمني

يقول الشاعر[1]

مات للنهار

يا مغزلي المنكود قد مات النهار

والزائرون التافهون تجمعوا خلف الجدار

لكنهم لن يدخلوا

يا بيتي المحزون إني في انتظار

ستقل كف الليل ما حاك النهار

لكن سيولد من جديد

يوم جديد

الشاعر في هذه الأسطر يعكس لنا إيمانه الغيبي بمستقبل شعبه الفلسطيني من خلال ظهور مخلص دون معرفة سابقة أو تحديد لملامح هذا المخلص، ويشير فيها كذلك إلى الأسباب التي أدت إلى صعود هذه الفكرة أو هذا الاعتقاد بهذا المخلص الغيبي داخل الوجدان الفلسطيني ليتحول إلى حدث وصورة وهو يشير إلى ذلك من داخل القصيدة حين تكالبت القوى الخارجية على هذا الشعب،

ويقول:

---

(١) عبد الرحيم عمر/الأعمال الكاملة/منشورات مكتبة عمان/١٩٦٣م/ص٧٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مات النهار

وأطل شبح الليل والمتسكعون

والشاعر يلجأ إلى الأسطورة ويوظفها ليحقق من خلالها فكرة المخلص المنتظر ممثلاً بصورة(أوديسيس)الذي سيعود إلى زوجته(بنلوب) ويؤكد الشاعر على الحدث الأساسي في هذه الأسطورة وهو ظهور البطل حين يقول:

(إني أكاد أرى محياة الجميل) ويلجأ للأسطورة ويوظفها توظيفاً كلياً بحيث يتداخل فيها(العام) و(الخاص) أو(التاريخي) و(الأسطوري)، وتمتزج فيه مستويات الخيال بالواقع، ويصبح العمل بأكمله عبارة عن استعارة كبرى تكشف عن دلالة أساسية تخدم هدف الشاعر أولاً وأخيراً والقائم على انتظار هذا المخلّص وهذه النبوءة أو هذا الانتظار تنطلق فيه حركية القصيدة من الموت إلى الحياة حين يقول:[1]

مات النهار

.....

لكن سيولد من جديد

يوم جديد

وتمر حركة التحول هذه عبر الواقع المحكوم أو الخاضع للعدو الممثل في القوى الخارجية عن الشعب الفلسطيني

والزائرون التافهون تجمعوا خلف الجدار

لكنهم لن يدخلوا

ويتكئ الشاعر أحياناً في حركة التحول هذه إلى الانتظار(المستقبل) المستند إلى الحلم حين يقول:

وأراك(أوديسيس)في حلمي الحنون

---

(١) عبد الرحيم عمر/الأعمال الكاملة/منشورات مكتبة عمان/١٩٦٣م/ص٧٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إلا أن الشاعر يختار أخيراً طريق الانتظار العاجز حين يخضع وبالاختيار للواقع المعيشي

يقول: "لكنه الأبدي لو نهار العمر مات"

ويستعير الشاعر(محمود درويش)شخصية(عويلس) ولكنه يضفي عليها دلالات معاصرة مناقضة للشخصية على سبيل المفارقة،فإذا كان(عويلس)قد استجاب لنداء البحار وسافر بحثاً عن أبيه، فإن ابن(عويلس)الفلسطيني لا يسافر وينتظر عودة شعبه،فسفره يعني تركه للوطن وهذا يعني خيانة، وبذلك يكون الشاعر قد استفاد من استحضار شخصية(عويلس)وأخفى دلالتها الأسطورية وأكسبها بعداً مناقضاً مما يعمق المعنى، وقد استعار الشاعر(سميح القاسم)أسطورة(ايزيس)وقصة مدينة(ارم)

وكثر استحضار شخصيات دينية مثل الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم-والمسيح عليه السلام كما في قصيدة (نشيد الرجال)(لمحمود درويش)وقصيدة(إلى السيد المسيح وعبده)(لفدوى طوقان)وشخصية(أيوب)كما في قصيدة "من مفكرة أيوب"لسميح القاسم ومن الملاحظ على الشعر الفلسطيني عامة قلة استخدامه للأسطورة ربما يرجع ذلك إلى أن الشاعر الفلسطيني كان ملتزماً بقضيته،فكان يستخلص تجاربه و ا أساطيره من واقعه مباشرة و هو دائما مشغول بهذا الواقع

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

و جاء الزمن عند الشاعر الفلسطيني مرتبطاً بالكثير من المفاهيم مثل المكان و الغربة و غيرها من الهموم الذاتية أحياناً فجعلوا منه رمزاً لنقل هذه المفاهيم و الأحاسيس فجاء مرتبطاً بالمكان ارتباطاً مباشراً لذلك نجد الشاعر الفلسطيني دائماً معنياً بالسؤال أين أحيا أين أموت و ليس متى أحيا متى أموت"[1] لقد عمل الشاعر الفلسطيني على أن يجعل من واقعه الزماني وسيلة لتأمل فكري يظهر لنا فلسفته و منهجه تجاه قضيته القائمة على سلب هذا المكان و نهبه و هذه الفلسفة ناجمة عن ذلك الوضع التاريخي الذي فرض عليه فلم يكن المكان مجرد مؤثر حياتي أو محيط يعيش فيه بل تمتزج نفسه و عاطفته و فكره فيه حين يجعل من هذا المكان وسيلة للتعبير عن قضية زمنية و بهذا يكون قد حول قطاعاً ضخماً من واقعه (المكاني) إلى واقع (زماني) و علينا أن نعي تماماً ما قاله (هانز مير هوف) في ذلك حين يقول:" الزمان هو الصورة المميزة لخبرتنا إنه أعم و أشمل من المسافة (المكان) لعلاقته بالعالم الداخلي للانطباعات و الانفعالات و الأفكار التي لا يمكن أن نضفي عليها نظاماً مكانيا والزمان كذلك معطى بصورة أكثر حضورا من المكان أو من أي مفهوم عام آخر كالسببية أو الجوهر "[2]

يقول:الشاعر (محمود درويش)[3]

---

(1) شاكر النابلسي/ مجنون التراب/ دراسة في شعر وفكر محمود درويش/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط١/١٩٧٨م/ ص٥٢٥

(2) هانز مير هوف/ الزمن في الأدب/ ترجمة سعد رزق/ مراجعة العوضي الوكيل/ مؤسسة سجل العرب/١٩٧٣م/ص٧

(3) محمود درويش/الأعمال الكاملة /ص٣٩٦

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مرّ القطار سريعاً

لم يكن زمني

على الرصيف معي

فالساعة اختلفت

ما الساعة الآن

ما اليوم الذي حدثت

فيه القطيعة بين الأمس و الغد

لم هاجر الغجر ؟

هنا ولدت و لم أولد

سيكمل ميلادي الحروف إذاً

هذا القطار

و يمشي حولي الشجر

أراد الشاعر أن يحول زمنه إلى سؤال (ما الساعة الآن) كأنه يحمّل هذا الاستفهام صورة الرفض له ، فهو ليس زمنه الذي يعيشه و كأنه يعبر عن لا معقولية هذا الزمن و رفضه له ، و يؤكد ذلك حين يتابع (ما اليوم الذي حدثت / فيه القطيعة بين الأمس و الغد /) و كأن الشاعر يجسد إحساسه بالتوتر و الحيرة و القلق تجاه هذا الزمن ثم يلجأ الى التضاد في قوله : " هنا ولدت و لم أولد " و كأنه يريد أن يبدأ ميلاداً جديداً حين " يعقد الأمل على خروج النقيض من النقيض " [1] أن إحساس الشاعر بالزمن المرتبط بالمكان لم يكن متداخلاً كما كان من قبل بل كان ثابتاً يعكس ثبات موقفه تجاه هذه الأرض بيد أن إحساس الفلسطيني بالمكان لم يكن مرتكزاً على

---

(١) يوسف اليوسف/محاولة رقم ٧/دراسة تحليلية / مجلة الأداب/ بيروت/ السنة الثانية والعشرون/ ١٩٧٤م/ص٢٥

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الذكرى و الحنين أو الألفة ، و إنما يعود إلى التاريخ ليستمد منه دوره و يستخلص منه دروس الحاضر و المستقبل و ليخدم الاتجاه الثوري لديه القائم على تحرير الأرض يقول الشاعر " هارون الرشيد " (١)

فلسطين التي بيعت بسوق نخاسة الدولار
هي الموطن الذي هزم الصليبين و التتار
هي الاسم الذي ألقى على الدنيا ضياءً و نهار

و يأخذ الزمن بعداً آخر حين يرتبط بمناسبة وطنية أو قومية يقول : " محمود درويش"(٢)

في شهر آذار في سنة الانتفاضة لنا الأرض أسرارها الدموية
في شهر آذار أمام البنفسج والبندقية
خمس بنات وقفن على باب مدرسة ابتدائية
واشتعلن مع الورد والزعتر البلدي

فشهر آذار ليس زمنا بذاته عند درويش يمثل شهرا من أشهر السنة بقدر ما هو زمن فلسطيني خاص يعبر عن إحدى صور النضال .

و يربط الشاعر الفلسطيني بين الزمن و غربته فالغربة عند الفلسطيني مرتبطة بالبعد عن الوطن و هو لم يقصد إلى هذه الغربة قصداً فليس له فيها سلطة و إنما أجبر عليها من الأطراف الأخرى فهي غربة فريدة بعواملها و مظاهرها ، و تستمد هذه الخصوصية و هذا التفرد من خصوصية القضية الفلسطينية ، و الشاعر الفلسطيني منذ اللحظة الأولى يلح على نفي الغربة و العودة إلى الوطن .

يقول الشاعر: " هارون هاشم رشيد " (٣)

---

(١) هارون هاشم رشيد / الأعمال الكاملة/ ص٦١٨
(٢) محمود درويش /الأعمال الكاملة / ص٤٩٠
(٣) المصدر السابق / ص٧٣

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

غرباء في الكون أنّى مشينا و لأي من البلاد أتينا

غرباء ضاقت بهمتنا الأرض و ضجت و استثقل الناس منا

غرباء غداً نعود إلى الأرض إلى المجد أو نموت و نفنى

فتكرار لفظة(غرباء) في هذه الأبيات لا يمكن أن يكون تلقائياً او عفوياً ، فقد قلب هذا التكرار المعنى المعجمي للفظة ، فلم تعد تعني الغربة أو الاغتراب و البعد عن الوطن بقدر ما تعني التحريض و الإثارة ، و أصبح لها مدلول آخر هو التمسك بالأرض , كأن الشاعر يرفض واقع الغربة.و يعمق مفهوم الزمن بعضاً من آرائهم و أحاسيسهم ، تقول " فدوى طوقان " [1]

في هذا الزمن المبتور الساقين المتسربل

بالكاكي ــ بالموت القاسي ــ بالنيران

و بالأحزان

.....

أخشى يا طفلي أن يقتل فيك الإنسان

فالشاعرة تعيش لحظة زمنية خاصة حين توظف الزمن و صورته (المبتور الساقين) لتعرية سلوك غير حضاري يغرسه المحتل في نفوس أطفاله حين يقتل في نفوسهم كل المشاعر الإنسانية .

هذا الزمن الفلسطيني زمن يقوم على استحضار الماضي لتأكيد الهوية لبناء الشخصية و الوعي المعيشي ، ويرسم مستقبلاً لا يقبل الاحتمالات ويحمله بعضنا من همومه.

---

(١) فدوى طوقان/ الأعمال الكاملة/ ص٦٢٨

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن دراسة الزمن في الشعر الفلسطيني تتصل ــ كما رأينا ــ برؤية الشاعر ووعيه الداخلي للأبعاد الثلاثة (ماضي ــ حاضر ــ مستقبل) و لا شك في أن الموت يمثل نهاية الوعي بالزمن ، و أنه الحقيقة المحتومة لا بدّ منها، و السؤال الذي يطرح نفسه و نحن نعالج قضية الزمن في الشعر الفلسطيني ، هل كانت نظرة الشاعر للموت على أنها حتمية لا مفر منها و أنه النهاية لكل الأحداث ، أم أن هناك رؤية أخرى فرضها الواقع لا تتفق مع هذه الحتمية .

" إن سهم الزمن يتحرك باتجاه العمليات المعكوسة " [1] و هذا يعني أن هناك اتجاها موضوعيا للحدث في هذه الحياة مرتبطاً بمسألة الترتيب (ماضي ــ حاضر ــ مستقبل) مما يعني تحديد اتجاه الزمن في الحياة الإنسانية نحو الموت ، يقول الشاعر محمود درويش [2]

جبهتي لا تحمل الظلّ
و ظلي لا أراه
و أنا أبصق في الجرح الذي
لا يشعل الليل جباه !
خبئ الدمعة للعيد
فلن نبكي سوى من فرح
و لنسمّ الموت في الساحة
عرسا .....وحياة !

---

(١) هانز ماير هوف / الزمن في الأدب / ص ٧٢
(٢) محمود درويش / الأعمال الكاملة / ص ٣٤٨

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالموت عن محمود درويش (عرسا ... وحياه !) و هو بذلك يقلب مفهوم اتجاه الزمن في الخبرة الإنسانية من ((اللامعكوس)) إلى ((المعكوس)) ليصبح الموت عنده بداية لحياة جديدة و الشاعر يهدف من وراء ذلك أن يحفظ استمرارية القضية .

لقد كان الموت سباقاً للبحث عن الحياة أو افتتاحية لبداية الإنسان الجديد لأن هذا الموت ليس حلاً لمشكلة الحياة الشاقة لا هو موت ذهني ولا هو تآكل الأعضاء من الخمول والسآم إنه طريقة في السفر للبحث عن الجانب الحي في الحياة ، أو هو لتخليص الإنسان من الموت في الحياة إلى الحياة في الموت "[1].

إن النظر للموت على أنه النهاية الحتمية التي تنتظرنا هي نظرة سلبية تجاه الزمن صوب الموت فهو انتظار للموت ليصبح فيما بعد جسراً للحياة .

يقول الشاعر هارون الرشيد [2]

الصف الأول: مات

الصف الثاني : داسته الدبابات

الصف الثالث : أكلته الغارات

الصف الرابع : آت

الصف الخامس : آت

فالشاعر هنا يجسد من الموت إنسانا يعطي الحياة من جديد و هكذا يصبح الموت عنده أملاً و مطمحاً لانتظار ولادة من جديد فيكون الموت معادلاً للحياة ، و نجده عند

---

(١) محمود درويش / ورقة الى دفتر طوكيو/ مجلة شؤون فلسطينية / ع ٣٥ / ص ٣٨

(٢) هارون هاشم رشيد / الأعمال الكاملة / ص ٤٥١

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

(محمود درويش) مرةً أخرى قوة حياتية متولدة من ذات الموت يجعل الشاعر منـــه قوة حركية فاعلة في صفوف شعب ينتظر النصر و يترقب لحظة الخلاص يقول (١)

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين تموت

نحاول ألا نموت معك

فوق ضريحك ينبت قمح جديد

و ينزل ماء جديد

وأنت ترانا

نسير

نسير

نسير

فالموت هنا ليس موتاً مجانياً بل استشهاد و انتظار الخلاص الفعلي في شكله الحقيقـــي و الذي يعني الانبعاث من جديد حيث ينبت القمح و ينزل المطر مما يعني أن المـــوت أصبح لدى الشاعر تجربة وليس حدثاً عابراً . و هو هنا لا يتناول موضوعه الشـــعري على أنه فجيعة ذاتية بل يتناوله من خلال فقدان شعب بأكمله فالتجربة هنـــا تتجـــاوز الشعور الفردي لتأخذ بعداً قومياً ، لذلك يتحدث الشاعر بصيغـــة الجمـــع (نعيـــش ــ نسير ــ نحاول) .

---

(١) محمود درويش /المصدر السابق ٣٦٢

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لم يكن الموت لدى الشاعر الفلسطيني يمثل اتجاهاً عدمياً يرتكز فيما يرتكز على إنكار لقيمة الماضي في حياته تاريخه، و يقول أحمد دحبور : [1]

من نحن بعد الصمت ..... بعد الزوال

عرى ؟ ركام من فراغ ؟ محال

هل أفرغ العزيز جيش القبور

فلم يبح .....؟

أم أن شمس النشور

آلهته ؟ أم .....

أم ..... خاف إن يحك

أن يعشق الأحياء سكنى القبور

فالشاعر في هذه الأسطر يوظف قصة (العزير) للكشف عن عمق المأساة التي يعانيها الشعب الفلسطيني حين يخاف (عزير) أن يحكي ما رآه في موته فيعشق الأحياء سكن القبور و لكن الشاعر يرفض هذا الموت المجاني حين يقول [2]

أفنى ؟ ومن يحلم بالشط

إذن ؟ و بالعودة ، و المركب

أفنى ؟ و من يعطي

عينيه للأطفال..... للموكب ؟

هكذا ينقل لنا الشاعر الفلسطيني رؤية للموت فعبقريته و إخلاصه لقضيته هي التي مكنته من أن يرى ذلك التفاعل المتواصل و التي يتضمنها تجاه الزمن صوب الموت.

---

(١) أحمد دحبور / الأعمال الكاملة / ٩١

(٢) المصدر نفسه ص٩١

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المراجع

أ ـ الدواوين :

1 ـ إبراهيم نصر الله / الأعمال الكاملة / المؤسسة العربية للدراسات و النشـــر / ط1 1994م

2ـ أحمد دحبور الأعمال الكاملة / دار العودة /بيروت / 1938م

3 ـ خالد أبو خالد / ديوان التغريبة / دار الطليعة /بيروت / 1937م

4ـ سميح القاسم / الأعمال الكاملة / منشورات مكتبة عمان / 1963م

5ـ عبد الرحيم عمر / الأعمال الكاملة / منشورات مكتبة عمان / 1981م

6ـ عز الدين المناصرة / الأعمال الكاملة / المؤسسة العربية للدراسات و النشـــر / ط1 1994م .

7ـ فدوى طوقان / الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / 1984م.

8ـ محمود درويش / لماذا تركت الحصان وحيدا / رياض الريس للنشر / ط1995.

9ـ محمود درويش / الأعمال الكاملة / دار العودة بيروت / ط13 / 1989 م

10ـ هارون هاشم رشيد / الأعمال الكاملة / دار العودة / بيروت / ط1 / 1981م .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ب ــ المراجع

1ــ د. أحمد إبراهيم الهواري ، البطل المعاصر في الرواية المصرية ، دار المعارف ن مصر ، 1986م .

2ــ القديس أوغسطين ، الاعترافات ، الكتاب العاشر ، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ، 1963م.

3ــ شاكر النابلسي ، مجنون التراب ، دراسة في شعر و فكر محمود درويش ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ط١، 1978م.

4ــ د. علي عشري زايد ، استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، 1974م .

5ــ محمد رجب النجار ، البطل في الملاحم الشعبية و العربية الكتاب الأول .

6ــ هانزر مير هوف ، الزمن في الأدب ، ترجمة سعدي رزق ، مراجعة العوضي الوكيل ، مؤسسة سجل العرب ، 1973م .

ج ــ الدوريات

1ــ محمود درويش / و رقة إلى دفتر طوكيو / مجلة شؤون فلسطينية ع ٣٥

2ــ يوسف اليوسف ، محاولة رقم7 ، دراسة تحليلية ، مجلة الأدب ، بيروت السنة الثانية و العشرون ، 1974م .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com